

الفصل الخامس

# قنوات الدبلوماسية

التقارير والبرقيات  
التفاوض

---

اعتمدنا في هذا الفصل على :-

Humphvy Tvevelyam "Diplomatic channels".



## عن تحرير التقارير:

بخلاف المفاوضات، فإن مهمة السفير الأساسية هي أن يبعث بتقارير حول الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلد الذي يعيش فيه: حول سياسة حكومته وحول محادثاته مع القادة السياسيين، والرسميين وأى شخص آخر أثار له المسرح السياسى.

ولسنا فى حاجة لأن نأخذ بشكل كبير من الجدية الرأى الذى نراه فى الصحافة الدارجة أن السفير ليس ضروريا، على أساس أن مراسلا صحفيا جيدا يستطيع أن يقوم بالوظيفة بدونه. إن مثل هذا المراسل يقع دائما تحت ضغط الوقت. وهو مشغول ببرىق الصورة الأمامية أكثر من الوقائع الدائمة التى تقع وراءها. وهو يجب أن يحاول وأن يستخلص نتائج، رغم كونها قائمة على التخمين، إلا أنه يشعر بالأمن إدراكا منه أن مايكتبه سوف يستخدم فى اليوم التالى كلفافة للسلك، وسيكون لديه الكثير من الفرص لتصحيح أخطائه. إنه يجب أن يكتب مايجعل الناس يشترون صحيفته: فإذا ماكتب تقريرا من النوع الذى يجب أن يكتبه السفير، فإن توزيع الصحيفة سوف ينخفض فى الحال. إن السفير ليس مطالباً بأن يحاول هزيمة وكالات الأنباء أو أن يتنافس مع أخبار الساعة ويعلق على الصحافة والإذاعة. إن بقرقيات السفير تبلغ مناقشات سرية، كما يجب أن تكون أداة حكومته فى تقييم المسرح الدولى، وستكون تقاريره مختلفة بشكل جذرى عن تقارير الصحافة.

إن البرقيات الواردة من السفارات البريطانية فى الخارج وتحتوى على أهمية ما، وليست موجهة لشخص محدد إنما توزع فى وزارة الخارجية وإدارات أخرى معنية فى الوائتهول. وجزء جوهرى من النظام أن لاتعاد صياغة هذه البرقيات، وعدم حظرها، مرة واحدة التى عرفت فيها أن هذا التقليد لم يعمل به، فقبل عدة أيام من الهجوم الإسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦ بعث السفير فى تل أبيب ببرقية يسجل فيها محادثة مع ابن جوربون. والجزء الأخير من ملاحظات ابن جوربون، التى تضمنت اتصالات مع وزراء بريطانيين غير معروفين للسفير أو للإدارات فى لندن، كان قد حذف ولم يعلم أحد أبدا من الذى حذفها وكانت بعض النسخ الأولى التى تضمنت الأجزاء التى حظرت مازالت موجودة. وقد رأيت بعد ذلك واحدة منها حفظتها الإدارة التى تسلمتها كنوع من فضول الحياة الرسمية، والتى استخلصت النتائج الصحيحة منها ولكن خلال أزمة السويس فإن العلاقات المعتادة بين

الوزراء وجميع الرسميين فيما عدا واحدا أو اثنين قد قطعت، أما جميع الرسميين الآخرين فلم تطلب مشورتهم بل إنهم لم يبلغوا بما كانت تفعله الحكومة.

والبرقيات ذات الأهمية غير المحلية من السفراء البريطانيين تطبع وتوزع على إدارات أخرى وسفارات في الخارج. ومنها يحصل السفير على معظم معرفته عن المسرح الدولي في عمومه. وإذا لم تتفق إدارات في وزارة الخارجية مع تقييم الكاتب، فإن تقييمه سوف يفند ببرقية باسم وزير الخارجية، وفي مرة واحدة لم تراخ هذه العادة، حين لم تتفق الإدارة مع وجهات نظر عبر عنها رئيس بعثة في ثلاث برقيات كتبت قبل أن يعود إلى الوطن. ولم تطبع هذه البرقيات وإنما أرسلت منها نسخ لسفارات قليلة. وفي تقديري أن هذا كان خطأ. إن مدير الإدارة كان يجب أن يكتب ردا من وزير الخارجية، وكلا من البرقيات والرد كان يجب أن تطبع. ومؤخرا لم تتفق وزارة الخارجية مع تقييم سياسي من سفارة هامة وردت عليه ببرقية لاذعة في رفض وجهات نظر السفير. ولأني لم أر كلا من تقييم السفير والرد عليه، فإنني لا أستطيع أن أحكم على وجهات النظر المتعارضة. وقد طبع كل منها ووزعا وفقا للعادة ونشر اخلاف على أعضاء البعثات في العالم، كان هذا هو الإجراء الصحيح وقد تبدو تفاصيل هذا الإجراء ذات أهمية صغيرة وهذه وجهة نظر خاطئة: إن عليها تقوم أسس دبلوماسية جيدة.

وفي إبلاغه لحكومته عن محادثاته فإن السفير يجب أن يكون أميناً ودقيقاً، وهذا أمر طبيعي، ولكن هدفه يجب أن يكون هو إبلاغ روح المقابلة وبلغة ستمكن الوزراء في الوطن أن يفهموها بشكل سليم، ولذلك فإنه من ائتم عليه أن يراعى الحذر وأن يفسرها بدون أن يشوه المعنى، وعليه أن يتألف مع موجات الطول المختلفة في الوطن. فرواية مباشرة لمقابلة ما لا تتألف بشكل صحيح مع ما يتردد في الوطن سوف تنتج انطبعا زائفا. وفي الممارسة الدبلوماسية فإن الخطيئة المميتة أن يبلغ السفير ما يعتقد أن حكومته تحب أن تسمع. فهذا خطر للغاية. وقد يجلب كارثة، والمنظار الأيديولوجي، من أي لون، يزيف، فالعبارات المتحيزة يجب أن تزال من التقرير. وتقرير يقول بأن وزيرا اتخذ اتجاهها قويا يعنى عادة أنه يوافق مع وجهات نظر حكومة السفير، وتقرير يقول أن الوزير كان متشددا وعنيدا يعني أنه لا يتفق معها.

إن استخدام شيء من الدبلوماسية في التعامل مع الحكومة في الوطن هو ما يوصى به، وخاصة في أوقات الأزمات الدورية المتوترة التي تلم بجميع الحكومات. إن السفير يجب أن لا يعبر عن رضاه على نفسه بأن يذكر في تقريره لحكومته «لقد شرحت وجهات نظركم بكل ما أملك من قوة وقد أجز بوجهة نظري، ولكنني أذكر مناسبة عندما فُسر بياني بأنني نفذت التعليمات التي تلقيتها. وهو ما ظننت أنه كل ما هو ضروري، بأنه يعني أنني لم أكن موافقا عليها وأنني قد أدت مهمتي بدون حماس أو اقتناع وفي مناسبة أخرى فإن تعليقي بأن اتجاه الحكومة المصرية التي كانت في هذه اللحظة غير محبوبة بشكل كبير من رؤسائي هو أمر يمكن فهمه، قد لقي القلم الأحمر للسير أنطوني إيدن. وكان يجب أن أتنبأ بأن المثل الفرنسي القديم سوف يسرى هنا. وأن تعليقي سوف يفسر على أنه يعني أنني أعذر المصريين لسلوكهم العنيف في عدم رؤيتهم للأمر في نفس الضوء الذي تراه فيه الحكومة البريطانية. إن الطريقة التقليدية لوزارة الخارجية البريطانية في التعبير عن نفسها هي أن ترسل برقية تقول «لقد أجدت الحديث» وأذكر أنني قد تلقيت مرة واحدة هذا الوسام، وتساءلت عندئذ عما إذا كانت روايتي عن المقابلة المعنية تميل إلى تهينة النفس والإسهاب. إن طريق كتابة التقارير يتطلب الحذر وفيه الكثير من الصخور الخفية. ويستطيع السفير فقط أن يأمل أن مزيجا حكيما من الأمانة والفتنة يمكن أن يجعله يعبر هذا الطريق بشكل آمن.

ويجب أن تكون البرقيات مختصرة. فالوزراء في الداخل لديهم الكثير ليقروا «لقد رأيت رئيس الوزراء أمس في الساعة الرابعة بعد الظهر في فيلته الأنيقة التي تطل على الخليج. وبعد أن صب لي ويسكي وصودا (طبعاً بلاك ليبل)، من إناء زجاجي مصقول ومزخرف، ومستفسرا بطريقة ودودة للغاية عن صحتي وعائلتي..» مثل هذه الافتتاحية لم تكن مجهولة في وقت ما ويقال أن المستر بيفن قد خاطب أعضاء سفارة بريطانيا بقوله «إنني أتعاطف معكم. إن عليكم تشفير برقيات سفيركم، وعلى أن أقرأها». ومن المألوف بشكل أكثر هذه الأيام أن تصوغ برقيات وكأنك سوف تحملها بنفسك إلى مكتب التلغراف المحلي وتدفع ثمنها بنفسك، وليس مجرد تسليمها إلى عضو مسئول من خدمة اللاسلكي الذي يضعها في الآلة التي تقوم بعملية التشفير كله. كما أنه ليس من الضروري للسفير أن يكتب في تقريره أنه رأى الوزير لمدة ثلاث ساعات وكان نجاح المقابلة إنما يتناسب مع طولها. إن البرقية يجب أن تكون بالطريقة التي سوف يقرأها بها الناس الذين

تريد أن يقرءوها. إن شرحا مدروسا للملكية الأرض في روريتانيا سوف يقرؤه الأعضاء الأحدث عهدا في الإدارة المختصة في الوطن، إن لم يكن لديهم شيء أفضل يؤدونه حين يصل مثل هذا التقرير.. وبطبيعة الحال فإن الوزير ليس لديه وقت لكي يقلب صفحة منه. ولا يحتاج السفير أن يحجب للظروف - كلية - إنتاج سكرتير حديث حريص على أن يكسب لنفسه رصيذا من دراسته الشاقة للظروف اخلية. ولكنه يستطيع أن يرفق بهذه الدراسة، التي هي ثمرة عدد من ساعات العمل المثمرة. نصف صفحة موجزة تنبأ بهدوء أو بثورة الفلاحين، الأمر الذي تريد أن تعرفه حكومته.

وقد انتهى مؤلف لكتاب عن الدبلوماسية كتب منذ مائة عام مضت إلى «أن الكتابة المنمقة هي من أكثر الأخطاء الجديرة بالازدراء في وثيقة رسمية». وقد أكد لورد هاليفاكس عن حق في مذكرة شهيرة أن البرقيات يجب أن تكتب في إنجليزية بسيطة وليس في تقليد لأسلوب جيون. ومن الأفضل أن تستخدم أسلوبا محددا أكثر من أن يكتب بإسهاب حيث إن ذلك يساعد في جعل التقييم موضوعيا وأن لايتفوق الأسلوب على الحقائق.

إن تحليلا لسياسة حكومة أخرى يجب أن يوضع في ضوء مصالحتها، والضغط الداخلي والخارجية التي تتعرض لها، ونظريتها السياسية ومنهجها في العمل وجميع عناصر نظرتها وخصائصها القومية. إنها قاعدة معقولة أن تتبنى أكثر التفسيرات بساطة لعمل حكومة مالم يكن هناك سبب ملزم ضد ذلك. ويميل بعض المراقبين السياسيين بشكل كبير إلى أن يفرضوا أن مبادرة دبلوماسية هي نتيجة الرغبة في تحويل الانتباه عن المصاعب السياسية في الداخل أو ماتمليه ضرورات موقف آخر. غير أنه لم يكن من الضروري مثلا أن يفترض أن التطرف الصيني في مضايق تايوان عام ١٩٥٧ كان راجعا إلى رغبة الحكومة الصينية أن تحول الأنظار عن صعاب داخلية، أو أن الاستجابة السوفيتية لسياسة الهربراندت عن «الأوست . بولتيك<sup>(١)</sup>» كانت تنازلا قدم في ضوء الموقف الخطير

(١) هي السياسة التي تبناها الحزب الاشتراكي الديمقراطي في ألمانيا الغربية بعد فوزه في الانتخابات بزعامة المستشار ويلي براندت. واستندت هذه السياسة على بناء علاقات جديدة بين ألمانيا الغربية والاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية. وكان من أهم النتائج التي أثمرتها هذه السياسة هو توقيع المعاهدة الألمانية السوفيتية التي تم التصديق نهائيا عليها عام ١٩٧٢، وكذلك عددا من الاتفاقيات بين ألمانيا الغربية وبلدان أوروبا الشرقية مثل تشيكوسلوفاكيا، وبولندا، واجر، وقد ساهمت هذه السياسة في تمهيد الطريق نحو علاقات الرفاق بين الشرق والغرب وبالذات نحو اتفاقيات التعاون والأمن الأوربي عام ١٩٧٥ (الترجم ٩).

على الحدود الصينية، في كلتا الحالتين كان ثمة أسباب كافية للنظر إلى هذه الأفعال على أنها تتفق والمصالح المباشرة للدولتين المعنيتين.

وبعد عودتي من عدن، أخبرني دبلوماسي إسرائيلي أن وزارة الداخلية الإسرائيلية قدرت عام ١٩٦٧ أن ناصر كان يصطنع هجوما مضللا في صحراء سيناء لأنه كان يعرف أنني سوف أناور ضده في الجنوب العربي وأنه أراد أن يحول الانتباه عن موقف كان مؤكدا أنه سيهزم فيه، وربما كان هذا أحد ملامح تفكير الدبلوماسيين الإسرائيليين في هذا الوقت وحقيقة أن ناصر قد أدرك أن مغامراته في اليمن كانت فاشلة وكان هذا هو الموضوع الوحيد الذي قال في سنوات لاحقة أنه غير مستعد للتحديث فيه، إلا أنه كان هناك أسباب وجيهة للاعتقاد أن تصرفاته في سيناء كانت قائمة على تطورات في منطقة النزاع العربي الإسرائيلي، ومع ذلك فإن المرء يجب أن يحرص من التبسيط الشديد. إن قرارات السياسة الخارجية هي بوجه عام نتيجة مزيج من الدوافع مثلما هو الحال في فروع أخرى من النشاط البشري.

وفي دولة شيوعية فإن تفسير النصوص الرسمية هو أساس تقييم الحالة الجارية للعلاقات بين الحكومات والأحزاب أو القادة. وبيان بعد زيارة رسمية يتحدث عن «تبادل صريح لوجهات النظر» يعني عادة أنه كان هناك شجار هائل كاد الجانبان فيه أن يتضاربا، وتوحي عبارة «في روح من التضامن الأخوي» أن جانبا قد أوضح للآخر أنه يتبنى خطأ مستقلا مبالغا فيه بشكل لا يتفق مع مصالحه في المستقبل، وقد تشير عبارة «مناخ من الشعور الودي» أنه رغم أن أحد الأطراف هو في الجانب الخاطيء من المساجلة الأيديولوجية، فإنه من المأمول أنه ببعض التودد يمكن استمالته لأن يتصرف بشكل يتلاءم مع مصالح الطرف الآخر.

إن المادة الخام بالنسبة للمتخصصين ليست فقط البيانات الرسمية المشتركة، ولكن أيضا الخطب، والمقالات، والمكان الذي تحتله في الصحف، وحضور أو غياب زعيم حزب في مناسبة اجتماعية والأشخاص الذين يختارون لمقابلة أو توديع الشخصيات الزائرة، والألقاب التي يوصف بها الرسمىون وترتيب وقوف الشخصيات الرئيسية في الاحتفالات الرسمية، وانتقاء، وتناول أو حظر الأخبار، وعدد وافر من المفاتيح التي إذا جمعت معا يمكن أن تلقي بعض الضوء على الظلام الذي عادة ما يغطي صراع السلطة أو تحولات في

السياسة فى حزب شيوعى. وقد روى أنه فى مناسبة التحالف بين روريتانيا وبيورتانيا فإن  
عضوا كبيرا فى مجلس رئاسة روريتانيا لم يكن فى المقصورة الرسمية فى الأوبرا. هل هذا  
يعنى أنه فى طريقه إلى خارج السلطة. أو أنه قد أصابه برد؟ وقد ذكر سكرتير أول الحزب  
سلفه الذى شوهدت سمعته مرتين خلال خطبة استغرقت ثلاث ساعات. فهل يعنى هذا أن  
سلفه سوف يرد له اعتباره؟

إن الخبراء الأكاديميين فى الداخل ميالون إلى الاعتقاد أنه مادام لديهم نفس الوثائق  
لدراساتها وميزة عدة سنوات من الخبرة السابقة التى هى ضرورية لهذا النوع من أعمال  
البحث، فإنه من غير المجدى القيام بهذا العمل مرة أخرى فى السفارة بواسطة سكرتير أول  
قليل التجربة والذى من المحتمل أنه قضى أعوامه الثلاثة الأخيرة فى العالم العربى أو فى  
التفاوض مع آيسلندا حول حقوق الصيد. غير أن الناس فى وزارات الخارجية الذين يتلقون  
التقارير يعلمون أن الرجل فى الموقع يستطيع أن يساهم بشىء ما باستنشاقه للهواء الخلى،  
ويستطيع فى بعض الأوقات أن يصحح استنتاجات الخبراء التى يتوصلون إليها وهم فى  
عالمهم الآخر فى الداخل. إن ثمة فارقا بين أن تقضى أمسياتك فى شقة فى عاصمة بلدك  
وبين أن تقضيها فى حفل للعيد القومى فى مطعم براجا فى موسكو.

إننى أقترح أربع نقاط من النقاط العديدة التى يجب أن تظل فى الذهن فى تحليل  
السياسة الشيوعية. هل النقطة التى وردت فى إعلان رسمى جديدة أو أنها وردت من قبل؟  
إن هذا الشىء أساسى ويتطلب معرفة خبير. وكان سير توماس برملو الذى كان وزيرى فى  
موسكو.. يحتزن الحقائق فى ذاكرته الرحبة مثل جهاز كمبيوتر أحسن تنظيمه. وأذكر حين  
ما اعتقدت عام ١٩٦٤ أن هناك نقطة جديدة وردت هذا الصباح فى البرافدا. فأجاب «لا  
لقد ضمن خرشوف نفس النقطة فى خطبته فى السفارة البولندية فى موسكو فى نوفمبر  
١٩٥٦»؟

ثانيا: نقطة معروفة جيدا لكل المتخصصين فى الشؤون السوفيتية، فهناك افتراض فى  
اللاوعى فى غرب أوروبا والولايات المتحدة أن تعبيرات مثل التعايش السلمى، وعدم  
الاعتداء، وعدم التدخل وهكذا، لها معان عالمية، بينما فى الواقع لها العديد من ظلال  
المعانى التى تعكس مصالح أو نظرية الحكومة التى تستخدمها.

فالتعايش السلمى مثلا يستخدمه الروس لكى يعنى نضالا لانتصار الشيوعية بكل الوسائل فيما عدا الحزب، وليس «عش ودع غيرك يعيش» والذي هو المعنى المعتاد فى الغرب.

والنقطة الثالثة هى أقل وضوحا. فقد لاحظت سوء الفهم الذى قد ينشأ من الافتراض أن حكومات شعوب أخرى تعمل بنفس الطريقة التى تعمل بها حكومة السفير، وربما فى بعض الأوقات تتأرجح إلى الجانب الآخر بميلنا إلى افتراض أن الشيوعية، والسياسة السوفيتية بوجه خاص إنما تتقرر دائما على أسس عقلانية وبطريقة عقلانية. وفى الواقع، ورغم ما للنظرية من نفوذ قوى، فإن السياسة السوفيتية إنما يتم التوصل إليها فى الأغلب بنفس طريقة سياسة الحكومات الغربية. حيث يتم التوصل إلى سلسلة من المواقف الوسط بين ضغوط مختلفة ومدارس فكرية وبعد جدل ومحاولات لكسب التأييد بواسطة مصالح خاصة مثل القوات المسلحة أو المخابرات السوفيتية. والنتيجة لا تستند بالضرورة على حساب هادىء لمصالح البلد الحقيقية فهل من المؤكد أن السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط تقوم على أساس من التقدير الموضوعى لتوازن المصالح السوفيتية؟ إن هذه هى أصعب مجالات التحليل السياسى. مادنا ببساطة لا نعرف ما الذى يحدث خلف واجهة الوحدة السوفيتية، بينما لدى الخلل السوفيتى للسياسة الغربية ميزة ضخمة فى أن كل الضغوط وما يتسرب من مناقشات الحكومة إنما تناقش وتعرض فى الصحافة.

وأخيرا: فإنه من الضرورى تفادى معاملة السياسة الشيوعية وكأنها تنفذ لا فى العالم الحقيقى وإنما فى فراغ. إن تأثير السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط مثلا يمكن أن يحكم عليه بشكل سليم فقط فى ضوء التفاعل بين الروس وبين العرب المتقلبين والذين لايمكن التنبؤ بتصرفاتهم. وربما بدأ الروس يكتشفون ذلك لأنفسهم الآن.

إنه من الصعب غالبا أن تحكم إلى أى مدى تعتقد حكومة ما بما تعلنه أنها تعتقده حول دوافع حكومة أخرى. إن الروس يعلنون أنهم يعتقدون بأن طرد ١٠٥ مواطنين سوفيت من بريطانيا عام ١٩٧١ إنما يرجع فقط إلى تشدد متعمد لسياسة الحكومة البريطانية بهدف تخريب مؤتمر الأمن الأوروبى. وهى وجهة النظر التى ليس لها أساس. وهم بطبيعة الحال لا يستطيعون أن يقرروا بالتفسير البسيط أن لهم أكثر من حصتهم من الجواسيس فى بريطانيا، وأنهم رفضوا طلبات وزارة الخارجية منهم لتخفيض العدد. إن وزارة

الخارجية السوفيتية ربما تكون قد خضعت لجهاز المخابرات السوفيتية ومن الواضح أن ادعاءهم كان يمليه خط الحزب ولكن ربما كان وراءه شك مستتر. يعود إلى الاعتقاد الموروث بأن الحكومة البريطانية، ومنذ الحرب في تأييد الروس البيض بعد الثورة وحملة آركوس، كانت بطبيعتها معادية للاتحاد السوفيتي. والإحساس الغريزي الذي ربما كان فيه ذرة من الصدق، بأنه نظرا لأن البريطانيين والروس لديهم عدة سمات مشتركة، فإن البريطانيين بالنسبة للروس أكثر صعوبة في التعامل معهم من الفرنسيين أو حتى الأمريكيين.

وفي بداية عام ١٩٧٢، كان الصينيون يقولون أن البريطانيين من قبيل العادة يتركون «ذيولا» وراءهم: ذلك أنهم أعطوا عن عمد الاستقلال للهند بشكل يسبب متاعب مستقبلية حول كشمير، شرق وغرب باكستان، وشرق وغرب البنجاب. وقد ناسب هذا وجهات نظرهم في الخلاف حول الوضع القانوني لتايوان، ولكنه لم يكن بالضرورة حجة تكتيكية فقط. وقد ظن نائب وزير الخارجية المسئول عن العلاقات مع بريطانيا والذي ذكر لي هذا، أن نستون تشرشل كان هو الذي أعطى الاستقلال للهند، الأمر الذي، في ضوء احترام الصينيين للسيد نستون. يؤيد وجهة النظر بأنه يؤمن حقا بهذه النظرية، فإذا ما حاولنا أن نتخيل ماتبدو عليه السياسة البريطانية من وجهة نظر ماركسية لينينية ولرجال ليس لديهم خبرة شخصية حول الأسباب التي يعمل بها العقل البريطاني، فإن هذا يبدو محتملا تماما.

لقد قدمت بعض الأمثلة عن الطريقة التي يسيطر بها الخيال بسهولة في العالم العربي.. لقد كان قاسم في العراق منغمسا للغاية في خداع كل فرد آخر إلى الحد الذي خدع فيه بالتأكيد نفسه أيضا. ولدى شك قليل أنه كان يعتقد فيما أعلنه في الإذاعة أنني قد دفعت ٥٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني لقائد الثورة الكردية ملا مصطفى البرزاني، لإثارة الثورة ضده والا فكيف كانت تفسر الثورة؟ ألم يكن هذا العمل يعبر بشكل نموذجي عن الأساليب البريطانية، ومصمما بوضوح لإحباط مطالبته العادلة بالكويت؟ وألم يتلق تقريراً أنني اختفيت في جانب نل كردى لمدة خمس ساعات من الواضح لكى أقابل ملا مصطفى، والذي كنت قد زرتة في بغداد حين كان حزبه مسموحا به بشكل رسمي.

وأيا كانت صعوبات تحليل السياسة والرأى في العالم الشيوعى المغلق، فإن دور السفير

هو فى بعض الوجوه أكثر صعوبة فى العواصم التى بها صحافة حرة. والتى هى مراكز هيئات صحفية ودولية واسعة ويغمرها سياسيون من بلده.

إن ملايين الكلمات تتدفق على المسرح الأمريكى. فما الذى يستطيع السفير أن يستخلصه منها ولا يكون فيه بالفعل أخبار بالية فى بلده؟ ويزور الملك عاصمة مجاورة. وعلى السفير أن يبعث بتقرير عن أحداث الزيارة بكياسة ولكن بدون تملق ويقيم نتائجها السياسية. وسوف يقرأ الملك تقريره مجاملة، ولكن من المحتمل أن لا يقرأه أحد آخر. ذلك أن كل معلق قد اعتصر منه آخر قطرة من المعلومات، ويقتل رئيس وهو يفتح مصانع جديدة للغاز. ويرى ملايين المشاهدين كل التفاصيل ملطخة بالدم على شاشة التليفزيون. كما استنفد كل تفسير سياسى ممكن بواسطة المعلقين المطالبين بأن يملأوا عمودا فى صحفهم أو خمسة عشر دقيقة من وقت الراديو. والصعوبة الأعظم من أى شىء أيا كان الموقع، هى أن تذكر أن المسرح الخلى الذى يملأ أفكار السفير اليومية والذى يبدو على هذه الأهمية بالنسبة له، سيكون ذا أهمية أقل للوزراء فى بلده الذين يتصارعون مع مشكلات عسيرة ويحاولون أن يقروا رؤوسهم فوق الماء.

دعونا نتخيل مختلف السفراء يتطلعون من نوافذهم فى نهاية عام ١٩٧٢، مثلا ويتأملون فى الناس الذين هم فى مركز أفكارهم. إن السفير ليس مؤرخا محترفا أو عالما سياسيا. إن أفكاره من المحتمل أن لاتكون عميقة أو جديدة. ولكن ما تنتظره منه حكومته ليس موضوعا أكاديميا وانما وجهة نظر عملية.

وفى موسكو فإن السفير ربما يتوقف أمام علامات عن وعى جديد لدى القادة السوفيت عن كونهم قوة عظمى من حقها وواجبها نشر أفكارها ونفوذها حول العالم. ومع هذا فإنه سوف يتأمل أن الروس قوم حذرون بل بلداء، وليسوا بطبيعتهم عدوانيين وأنهم من الواضح ليس لديهم النية فى المخاطرة بمواجهة خطيرة مع الأمريكين، على الأقل لاقتناعهم أن الجنرالات فى البنتاجون لايتحلون بالمسئولية وربما يحثون الرئيس على أن يدعمهم يفجرون العالم. فى نفس الوقت فإنهم فى طريقهم إلى بث الاستقرار فى شرق أوروبا لما يتفق مع مصالحهم، ويظهرون أنهم يحتاجون تفاهما مع الأمريكين حول الحد من الأسلحة النووية، ولو فقط فى ضوء مشكلتهم الدائمة فى تخصيص الموارد الاقتصادية. وحتى ولو كانوا مطمئنين للغاية حول الحدود الصينية، فإنهم ليس من المحتمل أن يدعوا هذا الموقف يخرج من يدهم.

وفى بكين، وبعد زيارة الرئيس نيكسون لها، فإن السفير قد يتأمل أنه مالم يكن لديك دليل جيد على عكس ذلك، فإنه من الحكمة أن تفترض أن الصينيين يعنون مايقولون. فقد قالوا دائما ماكانوا يعنونه حول تايوان، ويجب أن يؤخذوا بشكل جدى حين يقولون أنهم لا يريدون أن يكونوا قوة أعظم، أو أن يحصلوا على وضع مسيطر فى البلدان التى يساعدون الثورة فيها فلماذا يحرصون على أن ينضموا إلى القوتين العظميين ويشاركوهم التزاماتهم المسرفة فى الإنفاق والخبية للآمال، رغم أنهم سوف يزودون أنفسهم حتما بما يكفى من أسلحة نووية متقدمة لردع الروس من الهجوم عليهم؟ وأليس أمام أعينهم الخبرات غير السعيدة للآخرين، بما فيهم الروس الذين اهتموا بالحصول علي وضع خاص فى «العالم الثالث»؟ وهو أيضا يجب أن لا ينسى أن مقياس الزمن الصينى يختلف عن مقياسنا، وأنهم لم يقتنعوا بتبين حل وسط فى أهدافهم السياسية مجرد جعل الشىء يتحقق فى نفس القرن. وفى المثل الصينى القديم، فإن السنوات المائة الأولى لأى أسرة حاكمة هى أسوأها.

وفى واشنطن حيث تشكل السياسة الخارجية من خلال لعبة كرة قدم أمريكية بين البيت الأبيض ووزراء الخارجية. والبتاجون ووكالة المخابرات الأمريكية، والتى عادة مايفوز فيها البيت الأبيض، فإن السفير قد يحكم أنه، إجمالا، وفى معظم ١٩٧٢ فإن كلا من الرئيس نيكسون والدكتور كيسنجر قد قيموا ردود الفعل الروسية والصينية بشكل صحيح، ورغم أنهم أثاروا حساسيات اليابانيين وأصدقائهم فى جنوب شرق آسيا وأنهم قد حققوا أفضل مايمكن تحقيقه من عمل سيئ مثل الحرب فى فيتنام التى ورثوها عن أسلافهم.. وقد يفكر السفير أن الأمريكيين قد تعلموا الكثير بممارستهم القوة منذ أيام مستر دالاس حين نظر إلى عدم الانحياز ككلمة قدرة، إن سفيرا أوروبا يجب أن لايسمح لحكومته أن تنسى أن الأمريكيين يتوقعون أن الأوروبيين يستطيعون أن يعتمدوا عليهم لتقديم العون المالى ماداموا ينظرون إلى ذلك كشىء جوهرى للأمن الأمريكى، وسوف يدرك السفير البريطانى بشكل محزن أن الأمريكيين هذه الأيام ينظرون إلى البريطانيين كعملة عانس من العائلة يستمتعون بزيارتها كواحدة من العائلة، ولكنهم لم يعودوا ينظرون إليهم على أن لهم نفوذا جادا على الشئون الدولية.

وفى باريس فإن المراقب فى السفارة البريطانية مثلا سوف يأمل أن الفرنسيين لم يكونوا أبدا جيرانا هينين وأنهم يفاوضون وكأنهم يبيعون رطلا من الشاى ويأملون أن يكسبوا

نصف بنس إضافي فيها، ولكن عليه أن يعجب بقدرتهم على أن يحصلوا على كلا الأمرين: أن يبقوا على مبعده من الولايات المتحدة والناو في الوقت الذي يعتمدون عليهم فيه للدفاع عنهم، والبقاء على الجانب التقدمي في الوقت الذي يبيعون فيه الأسلحة لجنوب أفريقيا، وأيا كان تنازع تيارات فكرة حول هذا الشعب الممتاز والساخط، فإن موضوعه الأساسي يجب أن يكون اعترافه بعظمة فرنسا ومكانها في مركز علاقات بريطانيا مع أوروبا.

وفي أماكن أخرى فإن السفير مواجه بتنوع واسع من الاتجاهات التي تصنع وجهة النظر السياسية التي يجب أن يتأملها مليا، وفي دلهى بالنغمة الأخلاقية العالية التي يتبناها الهنود وهم يتابعون بها مصالحتهم بقوة وبشكل لا يرحم. وفي برن بالمعرفة المريحة أن السويسريين يمكن أن تحتهم تقريبا على أي اتجاه غير محايد، بشرط أن يقتنعوا أيضا أن هذا لن يعرض حياتهم للخطر.

ويتطلع السفراء عبر نوافذهم في لندن وهم يتوقفون مؤقتا في كتاباتهم المتعجلة لبرقياتهم حول «رجل أوروبا المريض» لكي يستمعوا إلى الآراء البريطانية وهي تسهب في الحديث بسرور من يتلذذ بالألم حول كل نزاع في الصناعة، وكل فشل في الإنتاج البريطاني. وسوف يفكرون أننا حقا أمة من أصحاب الخوانيت الذين يعرضون كل صباح قائمة من البضائع التي لا يريد زبائننا أن يشتروها. فهل سيفهمون في أي وقت التناقضات في الشخصية البريطانية، والاعتقاد الغريب بأن الأجانب يعرفون على السياسة الخارجية البريطانية بأنها تدار بشكل صارم وفقا لقواعد، أو جهود العديد من الرجال المخلصين ذوي العقول المتحررة لإخضاع المصالح البريطانية لقضايا نبيلة، وصعوبة التوصل إلى ما الذي يريده البريطانيون ماداموا يبدون غالبا أنهم أنفسهم لا يعرفون؟ وقبل أن يكتبوا برقيات تنبه إلى الخطر، يجب عليهم أن يتأملوا في الملاحظة التي صدرت عام ١٨٣٠ بأن «هناك بوجه عام أزمة زائفة في كل عيد فصيح، حيث تبدو فيها إنجلترا ضائعة، ولكن سرعان ما يعثر عليها مع يوم أحد السعف».

هذه فقط ومضات قليلة عن مشكلات التحليل السياسي والإنساني التي يجب على السفير أن يحاول فهمها، وسوف ينجح في هذا بوضوح إذا ما استخدم عقول أعضاء سفارته. والطريق لذلك، والذي وجدته مفيدا، هو أن تدير السفارة وفقا للمبدأ الشيوعي

الصيني عن النضال الداخلي في الحزب، بتشجيع أعضاء السفارة بانتقاد جهود السفير بالقدر الذي ينتقد هو جهودهم. في يوم ما في موسكو قال لي سفيرى «لقد أعددت مشروعاً جديداً لبرقية، ولكنى أخشى أنه لم يبق من مشروعك إلا القليل». وقد سعدت بهذا مادامت النتيجة النهائية تبدو مفهومة بشكل جيد. إن الكثير جداً من الجدل بين الطهارة السياسيين يجب تجنبه، ولكنه يساعد على التقييم السياسى الذكى وفقاً للمبدأ الماركسى لحل التناقضات إذا ما تمكن السفير من تشجيع المناقشة الحارية بين اثنين من الخبراء ذوى الأفكار الخصبية، ووجهات النظر المتماسكة، والتصميم على أن يثبت كل منهما أن الآخر على خطأ.

وأيا كان حسن فهم السفير للشعب الذى يعيش بينه، فإنه لن يكون دائماً على صواب فى تقييمه خاصة، وكما وجدت من فشلى الشخصى، إذا ما كان عليه أن يخمن التصرفات المتطرفة المحتملة للديكتاتورين المغالى فيها نتيجة لذكرياتهم عن نجاح ثورتهم وتبنيهم المؤامرة كطريق لهم فى الحياة. ولذلك فإنه يجب أن يتأكد أن مركزه يقوم على أساس متين فى وطنه. وأكثر العناصر الأولية التى تتطلبها الدبلوماسية الجيدة هى أن يعرف مراكز القوة فى بلده. إن سفيراً بريطانياً مثلاً يعلم أن مصيره إنما يقع لا فى أيدي الوزراء أو حتى فى أيدي الصحافة، وإنما فى الإدارة التى يتبعها فى الداخل والتى يجب أن تكون موضع اهتمامه الداخلى.

### عن التفاوض:

على الرغم من أن وزيراً أو فريقاً من الخبراء يستطيعون فى هذه الأيام أن يسافروا خلال ساعات قليلة إلى أى عاصمة فى العالم، إلا أننى أعتقد أن السفير يجب دائماً أن يدير العلاقات مع الحكومة المعتمد لديها مالم يكن هناك سبب وجيه لأن يتولاها شخص آخر، إن وزيراً للخارجية يجب أن يتيح لسفراته أن يكون لهم نصيب فى عملية التفاوض، وأن لا يقع تحت الوهم بأن المفاوضات أكثر احتمالاً أن تنجح حين تدار بواسطة أو بوزير على الجانب الآخر. ولا يجب إيفاد مبعوثين شخصيين عند كل أزمة. إن هذا ينتقص من قيمة الممثل الدبلوماسى وتجعل الناس تظن أن حكومته لا تثق فيه. وزيادة على ذلك، فإن أى حكومة إنما تخاطر بأكثر عناصر مكانتها إذا ما أوفدت وزيراً فى الحكومة فى أزمة ما لكى يحاول مع رئيس عبيد، والذى قد يظن أنه من التكتيك الجيد أن يرفض مقابلته. إن إيفاد

مبعوثين شخصيين هو عادة أمريكية سيئة إلا أنه من حسن حظ السفراء الأمريكيين أنه ينظر إليها على أنها نتيجة لاقتصاديات الوفرة، وتنافس الإدارات في واشنطن.

فإذا كانت هناك أسباب وجيهة لأن يدير وزير المفاوضات في عاصمة أخرى، فيجب أن يكون مستعدا لأن يبقى لآخر لحظة وأن لا يبدو شغوبا في أن يعود إلى بلده بشيء ما يقوله بما سوف يفيد في البرلمان والحزب، إذ أن هذا سوف يعطى الفريق المفاوض الآخر ميزة تكتيكية ماداموا يستطيعون ممارسة الضغط برفضهم الإسراع في التوصل إلى اتفاق ومن المهم بوجه خاص أن لا يقوم وزير بزيارة بلد آخر لأسباب داخلية في المقام الأول وبإدعاء الرغبة في مناقشة مسائل ذات أهمية خطيرة لكلتا الحكومتين. ومن خلال خبرتي فإن الحكومات ماهرة في تشتم لماذا يزورها وزير. ويكرهون بوجه خاص الوزير الذي يتلاعب بالشئون الداخلية على أعتاب دارهم.

وحتى إذا كانت المفاوضات أساسا فنية وتحتاج إلى خبراء لفهمها. فإن الخبراء قد يحتاجون السفير لكي يتولاها وخاصة إذا كانت هذه المفاوضات تتضمن مسائل سياسية. وقد تمكنت مرة أن أدير مفاوضات حول ميزان الإسترليني دون أن أحطم المالية البريطانية، مادام لدي خبير بجانبى. وفي كل الأحوال فإن عضوا في السفارة يجب أن يشترك في المفاوضات مادام الوفد القادم من الوطن سيحتاج إلى توجيه حول الظروف المحلية والشخصيات وسوف يطلب من السفارة عادة أن تتابع المفاوضات حين يغادر وفد المفاوضات إلى بلده، إن الحجج تولد الحجج، والمفاوضة هي عملية مستمرة.

إن خبرة المفاوضات الداخلية لاتتصل بشكل وثيق بالتنوع الدولي. ويقال عن بيفين تشمبرلين أنه بتعبه على المفاوضات الصناعية التي يريد فيها كلا الجانبين أن يجد حلا، فإنه لا يفهم أن هذا نادرا ما يحدث في الشئون الدولية.

وبطبيعة الحال فإن الوزراء والسفراء سيرحبون إذا ما أرجع إليهم الفضل في اتفاق تفاوضوا حوله.. ومع هذا فإنه في معظم الحالات فإن الحقيقة هي أنه بعد فترة من التطور التدريجي فإن كل طرف في المفاوضات يقرر بشكل مستقل أنه من الأفضل تسوية المسألة وفقا لشروط يدرك أن الطرف الآخر سوف يقبلها. والسؤال الهام بوجه عام إنما يتعلق بالتوقيت وتحديد متى يصبح النزاع ناضجا للتسوية. ويحتاج المفاوض للحظ لكي يصل في اللحظة الصحيحة. فإن كان لن يتوصل إلى اتفاق، فإنه سوف يخسر بتقديمه تنازلات،

ومن الأفضل عندئذ أن يكون عنيدا بقدر الإمكان، ويمكن للمرونة المعقولة أن تجدى إذا ما كان مضمونا بشكل صحيح أن تسوية وشيكة الحدوث، ويعرف الروس هذا جيدا.

إن القواعد الأساسية لإدارة المفاوضات هي فيما افترض نفس القواعد لأي مفاوضات محلية أو دولية: الصبر الذى لاينفد، التحكم فى الغضب حين يتطلب الأمر ذلك، ولكن ليس التهكم. وقد اعتاد المستريفيين أن يقول إنك يجب دائما أن تقاوم إغراء تسجيل نقاط لصالحك، إن واحدا من أكثر المفاوضات الراسخين الذين رأيتهم يعملون كان هو الدكتور اديناور. ومازلت أستطيع أن أتذكره جالسا بابتسامة ضاحكة على وجهه وفى تحكم كامل فى نفسه خلال المفاوضات... وقد علمنا السير ايفون كير كباتريك فى ألمانيا حكمة خفض كل مسألة إلى أبسط أجزائها رغم أن زملائي الأمريكيين تعودوا أن يتندروا بشكل مسموع حين كان يبدأ فى جدل اقتصادى بعبارة المفضلة «خذ خمس تفاحات» ثم ينتهى من تصويره الحسابى إلى أكثر النتائج خطأ، كذلك تعلمت، كعضو فى اللجنة الاقتصادية للمفوضية السامية للحلفاء، أنه حين تفشل فى التوصل إلى اتفاق وتحيل المسألة إلى القمة، فإنها سوف تعود إليك بدون حل. ومن ثم يأتى الإصرار الحكيم الذى لايتغير أن مؤتمرا على مستوى القمة يجب أن يعد له إعدادا جيدا. وأنه لمن الأكثر احتمالا أن لاينتهى بفشل يجلب الكارثة إذا ما استطاع الرسمىون أن يتنبأوا بنتيجته وأن يصوغوا البيان المشترك قبل أن يبدأ المؤتمر.

وسوف يدرس الدبلوماسى سيكولوجية وتكتيكات الوزراء والرسميين الذين يهتمونه بشكل أكثر، وسوف يتعلم بعد فترة من الوقت مع من يكون من المريح التفاوض معه رغم أن الاختيار الذى يستطيع أن يمارسه فى هذا الخصوص اختيار حدود. وفى ألمانيا كان اختيار التعامل فى المسائل الاقتصادية إما مع د. ايرهارد (وزير الاقتصاد) أو مع د. وستريك وزير الخارجية، وتبهدنا إلى أن الدكتور ايرهارد فى الوقت الذى يبدو فيه دائما صديقا ويسجل وجهات نظرنا، ويعد باتخاذ إجراء، إلا أنه غالبا مايلقى هذه الملاحظات فى سلة المهملات بعد مغادرتنا ولا يتحقق أى شىء، أما الدكتور وستريك فقد يقول: لا، لعدة شهور، ولكن حين يقول نعم، فإنه يتبعها بالعمل مباشرة، وعلى هذا فضلنا أن نتعامل مع د. وستريك، وقد ارتكبت خطأ فادحا فى التعامل معه، حين كان أحد واجباتى أن أحصل على كل أوقية من خردة الصلب أستطيع أن أستخلصها من ألمانيا حتى إلى حد إنشال الغواصات الألمانية الغارقة فى المياه فى نطاق المنطقة الروسية، وحين بدأت أياس من

الحصول على المزيد طلبت مساعدة عضو كبير فى المفوضية السامية الأمريكية، وقابلنا معا الدكتور وستريك وقد بذل الأمريكى أفضل ما عنده لمساعدتى، ولكنه اختار أن يعرض نقاطه بشن هجوم شخصى حاد على الدكتور وستريك. وكان لهذه المقابلة أثر مدمر. فلمدة عام بعد ذلك لم أقابل د. وستريك دون أن يشير بشكل عاطفى إلى هذا الحادث.

ولست هذه دائما هى الطريقة التى يستجيب بها الألمان فى مثل هذه المواقف. فقد حدث أن هاجم السير ايفون كيركاتريك المستشار الألمانى بشدة فى صباح يوم ما، وقد كان عصيبا وهو ينظر كيف سيرد الألمان على هذا فى حفل الغذاء الذى كان يقيمه لهم فى نفس اليوم. وفى هذا الحفل استدار الدكتور هالشتين إلى ليدى كيركاتريك وقال: «هذا الصباح كان زوجك رانعا» وكان السير ايفون يعرف كيف يهاجم دون أن يخلف وراءه مشاعر غير ودية.

وفى السنوات المبكرة وقبل التحاقى بالخارجية البريطانية، تفاوضت مع الأمريكين نيابة عن حكومة الهند. وقد تعلمت من هذه التجربة الفارق الضخم الذى يمكن أن يحدثه فى علاقات الحكومات الشخصيات المسنولة عن هذه العلاقات فقد كان علينا أن نتفاوض على الجانب الأمريكى مع المستر والاس موراي الذى كان صعبا وعدائيا بشكل عنى للإنجليز فى الهند. ثم خلفه المستر لوى هندرسون فتبدل الموقف كلية بطريقة الصديقة المعاونة. ومن يومها لم أكف عن الإعجاب واحترام مستر هندرسون كواحد من أقدر أعضاء الدبلوماسية الأمريكية فى زمنه. وأذكر أن من هذه الأيام مفاوضات تصور الصعاب التى تشور حين يبدأ الجانبان من وجهتى نظر مختلفتين تماما فقد قدم عضو الكونجرس جونسون قانونا لمنع الأفيون إلا للأغراض الطبية والعلمية. وقد طلبت منا وزارة الداخلية أن نسن قانونا وفقا لهذه الخطوط فى الهند. كما أبلغنا أن عددا من الدول الأخرى بما فيها أفغانستان وتايلاند قد وافقت على أن تفعل هذا. وكان لدينا على الأقل تحفظات حول فعالية القوانين التى اتخذتها بعض البلاد المعنية وكانت حججنا أن السياسة الهندية فى خفض التدريبى لاستهلاك الأفيون بواسطة التحكم فى إنتاجه والضرائب العالية سيكون له أثر عملى أكثر. كان هذا هو الفارق بين إعلان مشكوك فيه حول ما نعتزم فعله، والذى قد يبدو جيدا على الورق وبين التداول العلمى.

إن المناهج الوطنية للمفاوضة يجب أن تدرس، ففي غرب أوروبا يساوم الوزراء والرسميون حول المائدة طوال الليل غالبا. وفي عملية التفاوض تجرى مساومة حقيقية وتنازلات من أناس لديهم السلطة على ذلك نيابة عن حكوماتهم. وفي موسكو هناك القليل من تفويض السلطة وتقريبا ليس هناك مساومة حول المائدة، إن التقدم أقل بطأ، وأساليب التفاوض غير مباشرة. وتحال الاقتراحات الغربية إلى «القيادة» هؤلاء الأشخاص الذين لا يظهرون ولا تحدد شخصياتهم أبدا. وبعد بضعة أيام تقدم الإجابة رسميا من الشخص الرسمي الذى تسلم الاقتراحات. وفي الأغلب يقرأ الرد من مذكرة مكتوبة وتقدم كبيان شفهي، ولكنه يسلم إلى السفير للتأكد من أنه لم يخطئ في تسلمها، وتصاغ بهدف النشر فى الحال. وفي هذا الشأن فإن البروتوكول الذى يحافظ على اختلاف دقيق بين بيان شفهي ومذكرة رسمية إنما يراعى بدقة.

ولا يخشى الروس أبدا من التكرار. فسوف يرددون نفس الشئ مرارا وتكرارا، وسينجحون فى بعض الأوقات فى إنهاك خصومهم بأن يخلقوا شعورا من الرعب لدى الجانب الآخر من تصور تكرار هذه العملية مرة أخرى. وهم يحافظون على نفس الموقف بدون تغيير لعدة سنوات، وفجأة يتحولون إلى موقفهم الآخر الذى أعدوه منذ البداية فإذا ما اتخذوا قرارا حول خطوة رئيسية تتطلب اتفاقا دوليا، فإن هذا يمكن أن يستدل عليه مقدما من تغير فى الخط الإعلامى. ويلعب الصينيون أيضا المباراة بدون حدود زمنية، ويجب على خصمهم أن يكون مستعدا على مواجهة الجدل بلا نهاية وحتى القرن التالى إذا كان هذا ضروريا.

إن استخدام لغة المفاوضات الآخر فى مفاوضات معقدة، حتى لو كنت تعرفها جيدا، قد يكون خطرا، مادام هذا يعطى الجانب الآخر ميزة بينما تعطيك الترجمة وقتا لكى تفكر. والمترجم يفكر فقط فى اللغة، ولن يركز المفاوضات على موضوع المفاوضات بكل فكره إذا ما كان عليه أن يفكر نصف الوقت حول تصريف الأفعال أو يوتر نفسه بتصيد معنى عبارة تحجبها لهجة أو لغة عامية أو انطباع متعمد وقد سجل مترجم هتلر وجهة نظره أن السير نيفيل هندرسون كان مخطئا فى إجراء مناقشات مع هتلر باللغة الألمانية. قد يكون هذا نوعا من الكبرياء المهني، غير أن زهو القدرة اللغوية قد يكون مغريا بشكل غادر، وتتطلب الترجمة عقلا خاصا وتدريباً على الأسلوب وكذلك فى اللغة، وبخلاف موظف الأمم المتحدة فإن الروس والصينيين هم أكثر المترجمين تدريباً ويمكن الاعتماد عليهم بشكل

مطلق، ويستطيع الأمريكيون إلى حد كبير باعتبارهم مجموعة من الأمم، أن ينتجوا شخصا ذا خلفية لغوية صحيحة. وخلال احتلال ألمانيا، كان يقال عن المفوضية الأمريكية السامية في بون أن نصف أعضائها لا يجيدون الألمانية، والنصف الآخر لا يتحدثون شيئا آخر. والامتياز البريطاني في اللغة العربية كأثر للعلاقة البريطانية العربية القديمة، إنما يتضاءل الآن بشكل محزن، ولا أستطيع أن أحجم عن ذكر أمديو جيولت الإيطالي المرموق في اللغة العربية، وصاحب الشخصية الرائعة الذي قاد واحدة من آخر المهام الفروسية في تاريخ الحرب ضد المدافع البريطانية في كرن وبعد الاستسلام الإيطالي في أثيوبيا شق طريقه عبر البحر الأحمر لكي يعيش بقية الحرب كضيف لإمام اليمن تحت اسم أحمد عبدالله، وكوزير لإيطاليا في اليمن بعد الحرب، فقد رافق الإمام في زيارته الرسمية إلى إيطاليا، وخلال الزيارة تساءل الرئيس جرونشى «وأين تعلمت لغتك الإيطالية؟»

ويتراوح المترجمون الفرنسيون بين من يشيرون الإعجاب ومن يشيرون الضحك. وقد ترجم مترجم فرنسي مرة في بون نفيًا رسميًا لأي Arriere Pensee أن حكومته ليس لديها أى تفكير في خلفية رأسها، وإن كان قد تصادف في هذه اللحظة أنه يعكس الحقيقة بدقة. كذلك كان أحد أبرز المترجمين الفرنسيين هو السيد كامينكر والذي كان بطل أكثر الحكايات شيوعا عن الترجمة، كان ذلك في لجنة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة، وكان الوقت متأخرا والوفود متلهفة على الانصراف للعشاء، ويبدو أن السير كامينكر كان على موعد، وكما هي العادة ألقى المسيو مولوتوف خطابا استغرق ثلاثة أرباع ساعة، وحين جاء دوره قال السيد كامينكر «السيد الرئيس، والسادة أعضاء الوفود، مسيو مولوتوف لم يقل شيئا».

إن مذكرات المترجمين المحترفين الذين أمضوا حياتهم في الترجمة مثل شميدت لها بعض القيمة التاريخية مادام المترجمون هم آلات دقيقة وذوو ذاكرة حرفية جيدة ورصيد واسع من المذكرات، وليس لديهم تميزات لتشويه الماضى أو سقطات شخصية يريدون إخفاءها.

وفي بعض الأحيان فإن السفير يجب أن يقابل وزيرا بدون حضور أى شخص آخر وفي هذه الحالة فسوف يسجل في الحال ما سمعه بعد عودته إلى السفارة. وكان ناصر، والذي كانت إنجليزته تقرب حد الكمال. والذي لم يكن يثق في زملائه، يرانى غالبا بمفردى ولم يكن سيكون نصف ماعليه من صراحة إذا ما كنت قد اصطحبت أحدا معي، فقد

كانت شكوكه ستشور في الحال، والمرة الوحيدة التي سجلت فيها بعض المذكرات خلال مقابلة معه كانت حين أعطاني رده على بيان الحكومة البريطانية في اليوم الذي تلا الهجوم الإسرائيلي على سيناء في نوفمبر ١٩٥٦. وقد أوضحت له أنني أسجل بعض المذكرات وسوف أعيد قراءتها عليه مادمت لا أستطيع أن أجازف بأي خطأ. وقد طلب مني أن أستبعد ماقاله عن أنه في اليوم التالي سيدافع المصريين عن القناة ضد البريطانيين والإسرائيليين، وربما ظن أنه من غير الحكمة أن ينغمس في التظاهر بالشجاعة في هذه اللحظة، أو أنه لم يكن متأكدا تماما من موقفه، حيث إنه قد ذكر لى بعضا من أعضاء حكومته كانوا يفضلون التوصل إلى اتفاق.

وعادة، فإن السفير يجب أن يرافقه أحد خلال الأحداث الخطيرة ذات الأهمية السياسية، فباستثناء بعض الظروف الاستثنائية، فإن العادة التي يجب أن يؤسف لها كلية هي أن يلتقى الوزراء «تحت عيون أربعة» كما يقول الألمان، إن هذا حتما سوف يؤدي الى سوء تفاهم ولن يعرف أحد ماذا قيل حقا. وإنه لمن الممارسة الخطرة اعتماد الزائر على مترجم الجانب الآخر ولا يصطحب أحدا معه في المقابلة، ففي النقاش حول محضر المقابلة، سيكون هناك اثنان مقابل واحد. ومع ذلك فقد يكون هناك مناسبات استثنائية لا تجرى فيها المقابلة بالطريقة العادية، وفي هذه الحالة يجب أن تنشأ علاقة شخصية خاصة، ومن المحتمل أن ينظر إلى مناقشات المستر هيث المنفردة مع الرئيس الفرنسي بومبيدو عام ١٩٧١ على أنها كانت لحظة حاسمة في تطور العلاقات البريطانية مع أوروبا.